طلقة (١٥)

(الصورة الأصلية لحرب ٧٣ قبل تغييرها)

عندما اكتمل لحن الأوركسترا !

لا يحب الشاذلي أن ينسب كل شيء في حرب أكتوبر لنفسه دون غيره ويؤكد أن المشاريع الاستراتيجية للعبور كانت قد بدأت من عام ١٩٦٨ أيام الفريق فوزي وزير الحربية.. وهو ما سوف نسمعه في اعترافات فوزي لاحقا..

استمر التدريب على المشاريع ثلاثة أعوام تولى بعدها الشاذلي رئاسة الأركان وكانت المشاريع تعتمد على تحرير سيناء في ١٣ يوما وعندما تسلمت مهام المسؤولية رأيت أن هذا الكلام لا يمكن تحقيقه على ارض الواقع ولا يتناسب مع الإمكانات الفعلية لقواتنا المسلحة في هذا الوقت.. وبدأت أفكر في خطة هجومية في حدود الإمكانات بحيث نعبر القناة لمساقة ١٠:١٢كيلومتراً فقط تحت حماية مظلة الدفاع الجوي ثم جاء الفريق صادق كوزير حربية واختلف معي في هذا وكانت خطتي معروفة بالمآذن العالية والمشكلة هنا كيف توفق بين الجندي والسلاح المتطور.. وفي أي فترة زمنية يمكن أن يتحقق ذلك والوضع لا يحتمل التأجيل.. وكلية الطيران مثلا تقوم بتخريج عدد محدود كل عام.

ونقاط الضعف في إسرائيل قلة العدد.. وبالتالي عدم قدرتها على خوض حرب طويلة الأجل.. لأنها تعتمد في تعبئة الجيش على ١٨٪ من الشعب الإسرائيلي.

ووقف السادات كرئيس للدولة وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة يتابع الخلافات في وجهات النظر... مجموعة تصر على عدم خوض الحرب ألا بعد تجهيز أنفسنا وأنا في الجانب الأخر أرى أن نخوضها بما نملك ونفرض ذلك على عدو اعتمد على أقوى ما عندي.. واضغط على اضعف ما عند عدوي.. وسلاحي كذلك أن احرمه من استخدام مزايا.. وعلى سبيل المثال اذا خاض العدو معركة بالدبابات يمكن لطيرانه أن يغطيه في دقائق معدودة بينما الحال عندنا مختلف تماما.. لان استخدامه لابد أن يتم بموافقة القيادة العليا لان قوتنا الجوية محدودة..

الشاهد على ذلك هذا المؤتمر أو الاجتماع الذي جرى عقده باستراحة السادات في القناطر الخيرية بحضور كبار قادة الجيش لكن من لهم حق الكلام

ثلاثة فقط.. لكن اذا هناك ما يخص قادة الأسلحة تكلموا في شأنهم وفي هذا اليوم لم يحضر قائد سلاح الجو حسني مبارك لسبب غير معروف للشاذلي الذي يروي هذه الوقائع ويومها حضر نائبه اللواء المسيري وأكد على صحة رأي الشاذلي بخصوص جاهزية واستعداد القوات الجوية..

وكان السادات يتحدث بطريقة إنشائية أو بالبلدي يمسك العصا من المنتصف وأحيانا يمزح حتى انه قال للمسيري: اذا لم ينجح سوف أعلقك على الشجرة..

وجاء أحمد إسماعيل كوزير حربية وبذلك اخذ الخلاف دائرة أوسع نظرا لأنني على المستوى الشخصي ما زلت اذكر ما جرى في الماضي وتحديدا في الكونغو والنفوس شايلة.

كانت خطة الوصول إلى المضايق معروفة بالتوجيه ٤١ أو الخطة غرانيت وهي المعلنة والتي تم ابلاغ روسيا بها وعند خروج الروس بدأ الاعتماد على الطيارين المصريين.

ونفس الخطة تقريبا تم عرضها على السوريين لاقناعهم بدخول الحرب مع مصر وبناء على حوار جرى مع احمد إسماعيل..لكنها عندهم على مرجعيتها الأولى تتمثل في العبور والثانية في الوصول إلى المضايق..

وبدأت النية تتجه في القيادة لتنفيذ الجزء الأول من الخطة وقد أيد السادات ذلك ويؤيد كلامي هذا ابوغزلة وحافظ إسماعيل في مذكراته وأكدوا أن الخطة تعتمد على العبور لمسافة ١٠:١٢ كيلومتراً خططت لها.

ويفسر الشاذلي سبب رفض السوريين للحرب مع المصريين.. وهو المعروف بتوجهه القومي العربي وقناعته بالوحدة.. ويقول:

المسألة أن مشاركة سورية سوف تؤدي إلى كشف أجناب الجيش المصري الأمر الذي يمنح الطيران والدبابات الإسرائيلية أن تظهر تفوقها.. واذا ضربت

الأجناب استطاعت أن تصل إلى مؤخرة الجيش أيضا.

وقد سافر احمد إسماعيل إلى سورية يومي ٣،٤ أكتوبر لوضع اللمسات الأخيرة والتنسيق مع الأشقاء هناك وكانت هناك فكرة بدخول الأردن إلى المعركة ولكن لأسباب سياسية تم أبعادها أو رفضها..

وحتى هذا الوقت لم يكن هناك من يعرف التوقيت النهائي.. لساعة الصفر كنا نفكر في أخر ضوء ليلا وفي سورية يفكرون في ساعة الفجر مع أول ضوء ومع ذلك تم ارسال اللواء نوفل إلى الأردن لاخبارهم باحتمال وقوع الحرب خلال الأيام المقبلة دون تفاصيل أكثر من ذلك..

وقد جاء اختيار يوم ٦ أكتوبر بعد حسابات ودراسات للمد والجزر في قناة السويس وكذلك الليالي القمرية وتم مناقشة ذلك مع القيادات السورية في اجتماع تم عقده في ٢١ أغسطس ١٩٧٣ وجرى ذلك في زيارة سرية قام بها الرئيس السوري حافظ الأسد مع وزير دفاعه وقادة الأسلحة وكان دور اللواء نوفل التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية.. وتم وضع عدة أيام مناسبة أمام قيادة البلدين لاختيار الموعد النهائي واذكر من هذه الأيام الفترة من ٥ الى١٢ أكتوبر أو ٧ إلى ١١ أو ١٢ سبتمبر على أن يتم اخطار القيادة العسكرية قبلها بـ١٥ يوما وكل هذا يجب فيه مراعاة السرية التامة . وقد تم عمل محضر رسمي من صورتين بهذا الكلام وقع عليه رئيس الأركان المصري ونظيره السوري يوسف شكور وتم رفعه إلى السادات والأسد ورجحت كفة أكتوبر لان بها عدة أعياد لليهود منها يوم الغفران الذي يصادف ٦ أكتوبر.. وأصبح جيشنا جاهزا تماما..

وعندما سأل الإعلامي احمد منصور ضيفه الفريق الشاذلي في برنامج شاهد على العصر عن تفاصيل يوم ٦ أكتوبر من حياة رئيس أركان الجيش وصاحب خطة العبور كانت أجابته بكل بساطة: عادي!!

وتفسير ذلك أن كل شيء قد تم اعداده ألا انك تتابع ما خططت له وكيف يتم على أرض الواقع لكن قبلها وتحديدا يوم ٥ أكتوبر (يوم جمعة) اتجه الشاذلي إلى الجيش الثاني وأيضا الثالث لتفقد الأوضاع والتقى هناك باللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث ووجده يقرأ خطبة حماسية كان يعدها لكي يلقيها على رجال الجيش واستغرب الشاذلي وسأله كيف ستلقيها على جيشك الذي يمتد ٩ وحدات على مدى ٤٠ كيلومتراً وهل ستجمع القادة في هذا الوقت العصيب لأجل هذا ودارت في ذاكرة الشاذلي صورة تجمع القادة في ٥يونيو١٩٦٧ عندما تم ضرب مطار فايد أمام أعينهم وقد ذهبوا إلى هناك للاجتماع بالقائد العام للجيش المشير عبدالحكيم عامر.. وكانت النكسة..

وسألني: ماذا افعل؟

وبدون تفكير قلت له: يكفي جدا أن يقولوا الله أكبر.. بحيث نجمع الأفراد وعلى كل كيلو من قطاع المواجهة نضع فردين معهما ميكروفونات.. يقولوا الله اكبر والكل يردد خلفهما وبذلك نغطي مسافة الـ٤٠كيلو كلها لان العدو لا يمكن أن يخترق كل هذه المسافة مرة واحدة..

«الله أكبر» أقصر خطبة أقوى خطبة يقولها المسلم ويقولها المسيحي وكانت المشكلة في الميكروفات وعلى الفور اتصلت بمدير التوجيه المعنوي وطلبت منه أن يوفرها وحسبتها بالمسافة وعممت المسألة على الجيش الثاني أيضا وأبلغت مدير التوجيه بضرورة الاتصال بي للتأكد من تنفيذ هذا الأمر.. وكانت الله أكبر هي المدخل الرئيس للمعركة وظل الجميع يرددها طوال فترة الحرب.

وقفة مع السادات

يحكي السادات في كتابه البحث عن الذات عن ساعات ما قبل الحرب فيقول: استدعيت السفير السوفيتي في مصر وأخبرته انني وسورية سندخل الحرب

والمطلوب معرفة موقف بلادك بشكل واضح..

واتفقت مع الأسد أن يستدعي السفير الروسي في دمشق يوم ٤ أكتوبر ويبلغه بأمر المعركة لان علاقة السادات بروسيا كانت سيئة بعد طرده للخبراء الروس.. وفي اليوم التالي طلب السفير السوفيتي مقابلة السادات وكانت المفاجأة انه طلب الموافقة على ارسال ٤ طائرات لنقل العائلات الروسية الموجودة في مصر وهم من كانوا يعملون في المصانع المدنية وطلبوا أن يتم سفرهم من مطار حربي.. ولم يتلق السادات رداً على سؤاله الأهم ما هو موقف الاتحاد السوفيتي في حالة الحرب؟

وقد رصد الإسرائيليون الطائرات الروسية واعتقدوا أنها تحمل امدادات إلى مصر وكذلك في سورية لان الأمر نفسه تكرر هناك.

في يوم ٨ رمضان انتقل السادات إلى قصر الطاهرة حيث تم تجهيزه كمركز للعمليات ويقول السادات:

كنت في أقصى درجات السلام الروحي بعد صلاة الجمعة وأنا أدنو إلى الغد موعد المعركة لم يكن يشغلني سوى بعض التفاصيل التي لم تكن ألا مجرد رتوش حول المعركة.. وقد يعجب الناس من الطريقة التي سلكتها في حياتي ولذلك عندما استيقظت في الصباح قمت بالتدريبات الرياضية اللازمة وسرت على برنامجي اليومي كالعادة وكان عقلي في منتهى النشاط وفي الساعة الواحدة من ظهر السبت ٦ اكتوبر حضر المشير احمد إسماعيل حسب اتفاقنا وركبنا العربية الجيب الخاصة بالجيش وكنت ارتدي الزي العسكري وتوجهنا إلى غرفة العمليات حيث جلست في مكاني والقائد العام عن يميني وكانت التعليمات أن الجميع يجب ألا يلتزموا بالصيام.. واصدر احد المشايخ فتوى بذلك وكنت أتصور أن القادة قد نفذوها وسألتهم:

انتم ما بتدخنوش ليه؟ ليه مابتشربوش سجاير! العلمية عايزه انتباه ولاحظت

عليهم حرجاً شديداً فطلبت الشاي لنفسي وأشعلت غليوني وأخذت أدخن وعلى الفور فعلوا مثلي وفي الساعة الثانية تماما وهي اشارة عبور الطيران وصل الخبر بان طائراتنا قد عبرت قناة السويس وكانت ٢٢٢ طائرة نفاثة سرعتها فوق سرعة الصوت وانتهت من ضربتها الأولى في ثلث ساعة بالضبط فقدنا فيها خمس طائرات فقط كما فقدت في تلك اللحظات الأولى من الحرب أخي الطيار الشهيد عاطف الذي كان في منزلة ابني فقد ربيته ولكنهم اخفوا علي حينذاك نبأ استشهاده ونجحت ضربة الطيران كاملا ومذهلا للجميع وبنسبة نجاح فاقت التسعين في المئة وبخسائر لم تزد عن ٢٪ وأدهشت العالم كله!

هذه رواية السادات فماذا عن رواية الشاذلي؟!

خارج السياق :

لغز.. عبد الحكيم!!

هو المشير محمد عبد الحكيم عامر ١١ ديسمبر١٩١٩/ ١٤سبتمبر ١٩٦٧ كان وزير الحربية في مصر، واحد من الضباط الأحرار.

عامر شارك مع الجيش المصري في حرب ١٩٤٨ وفي ثورة ٢٣ يوليو وقاد الجيش المصري في حرب السويس ١٩٥٦ وفي حرب اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧وفي حرب ١٩٦٧.. وقد جمعته علاقة قوية مع عبد الناصر وحاولا دراسة الحقوق ولم يكملا لظروف الثورة وعبدالحكيم هو ابن شقيق حيدر باشا وزير الدفاع.. ويقال انه توسط لجمال لكي يدخل الحربية..

وقد أثارت مذكرات عبدالحكيم عامر الكثير من الأقاويل حولها وهل ما نشر منها هنا وهناك هو فعلا ينتمي إلى المشير أم أنها أوراق مدسوسة عليه والهدف منها ضرب عبدالناصر من وراء ستار وهنا استشهد بما جاء في مقال للكاتب عمرو صابح وقال فيه : المدهش في الأمر أن هناك كتب عربية عديدة ظهرت كان مرجعها الأساس والرئيس هو كتاب (لعبة الأمم) مثل كتاب (ثورة يوليو الأميركية) لمحمد جلال كشك، وقد راجت تلك الكتب وأصبح بعض الموتورين يستعينون بها في إطار هجومهم على ثورة ٢٣ يوليو. والحقيقة أن الوثيقة الوحيدة المكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر والتي ظهرت حتى الآن هي مشروع البيان الذي أعده المشير، لكي يذيعه من الإسماعيلية في حال نجاح الخطة التي كانت مرسومة لوصوله إلى موقع القوات المسلحة هناك أثناء محاولة الانقلاب التي كان يعد لها مع رجاله عقب النكسة، وقد قام الأستاذ محمد حسنين هيكل بنشر هذا البيان في كتابه (الانفجار ١٩٦٧)- طبعة الأهرام في الصفحات من ١٠٨١ إلى ١٠٨٩.

وفى هذا البيان المكتوب بخط يد المشير الراحل، يقول عبد الحكيم عامر: نتيجة لكل ذلك.. اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القنال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال.

هذا اعتراف صريح من المشير الراحل بأنه هو الذي أصدر قرار الانسحاب غرب القناة، وفيه رد مفحم على بعض الأقلام التي مازالت تصر على أن الرئيس عبد الناصر هو الذي أصدر قرار الانسحاب، وفرضه على المشير عامر.

من المحزن أن شهداء مصر في اليوم الأول للقتال كان ٢٩٤ شهيدا، وبعد قرار المشير المنفرد بالانسحاب يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ وبالطريقة التي تم تنفيذ القرار بها، وصل عدد الشهداء المصريين إلى ٦٨١١ شهيدا مساء يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ عندما قبلت مصر قرار وقف إطلاق النار.

والآن طالما لم تظهر ورقة واحدة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر بعد مرور ٤٣ عاما على وفاته؛ فيمكننا القول بعدم وجود أي أساس من الصحة لتلك الأقاويل عن وجود مذكرات مكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر؛ وإلا فأين ذهبت تلك المذكرات؟ ومن يمتلكها؟ ولماذا يخفيها حتى الآن؟!!